Journal Of the Iraqia University (70-2) December (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

الانطباعية من الفن الى النقد الأدبي

م. م. عدنان عمران شكر

وزارة التربية المديرية العامة لتربية ديالى

(Impressionism from art to literary criticism)

Adnan Omran Shukur . M.M
Education Ministry of
General Directorate of Education in Diyala
Adnan.omran@ec.edu.iq

الملخص:

الانطباعية مذهب أدبي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا ، وهو يعد الإحساس والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي ، أسم الحركة مستمد من عنوان الوحدة للرسام (كلود مونيه) ، (انطباع شروق الشمس) التي قام بإنجازها عام (١٨٧٢م) ، وكان أول من أستعمل هذا الأسلوب الجديد من التصوير ، فقد أشتق أسم المدرسة الجديدة من أسم لوحته : (الانطباعية) .وهو أسلوب فني في الرسم يعتمد على النقل أو الحدث من الطبيعة مباشرة ، وكما تراه العين المجردة بعيداً عن التخيل والتزويق ، وفيها خرج الفنانون من المرسم ونفذوا أعمالهم في الهواء الطلق مما دعاهم الى الإسراع في تنفيذ العمل الفني قبل موضع الشمس في السماء وبالتالي تبدل الظل والنور ، وسميت بهذا الاسم لأنها تنقل انطباع الفنان عن المنظر المشاهد بعيداً عن الدقة والتفاصيل .

الكلمات المفتاحية : مفهوم الانطباعية ، الأسلوب الفني للانطباعية ، الانطباعية في العراق والوطن العربي

Summary:

Impressionism is a literary doctrine that appeared in the second half of the nineteenth century in France. It is considered the personal feeling and impression that is the basis for artistic and literary expression. The name of the movement is derived from the title of the unit by the painter Claude Monet, "Impression of a Sunrise" that he created. In the year 1872 AD, he was the first to use this iron method of photography. He derived the name. The new school derived from the name of his painting: (Impressionism).

It is an artistic style of drawing that depends on transferring or happening directly from nature, as seen by the naked eye, away from imagination and embellishment. In it, the artists left the studio and carried out their work in the open air, which prompted them to speed up the implementation of the artistic work before the position of the sun in the sky, and thus the shadow and light changed. It was given this name because it conveys the artist's impression of the viewed scene, without precision and detail.

Keywords: The concept of impressionism, the artistic style of impressionism, impressionism in Iraq and the Arab world.

المقدمة :

لقد أطلقت الانطباعية في البداية على مدرسة في التصوير, ترى أنَّ الرسام يجب أن يعبر في تجرد وبساطة على الانطباع الذي أرتسم فيه حسياً ، بصرف النظر عن كل المعايير العلمية , وبخاصة في ميدان النقد الأدبي , فالمهم هو الانطباع الذي يضيفه الضوء مثلاً على الموضوع لا الموضوع نفسه . ومن أهم شخصياتها عالمياً(أناتول فرانس ١٨٤٤– ١٩٢٤م) الأديب الفرنسي , وهو يعد رائد الانطباع في الأدب , بعد أن أنتقل المصطلح من الرسم الى الأدب , ويرى أنَّ قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ , وهذا الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي . أما (انطونان بروست) فهو يعد من أبرع من جسد الانطباعية الأدبية عندما يصف

مشهداً ينقل أحاسيسه إزاء مشهد تتجسد أمامنا لوحة انطباعية . ويذكر النقاد أنَّ قيمة أي عمل أدبي تكون في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ , فإنَّ على الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه ؛ لأنَّ الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي ، وأنَّ الفنان يحس أو يتأثر أولاً ، ولا يكترث للمعايير المتبعة للنقد الأدبي . فالإحساس وليس العقل والتفكير ، هو معيار وجود الإنسان وفق هذا المذهب ، وكل معرفة لا يسبقها أحساس بها غير مجدية ، والعبرة بمضمون العمل الفني وليس بشكله ، ولا يعبأ هذا المذهب بإصلاح أحوال الناس أو تغيير العالم الى الأفضل .

المحور الأول : مفهوم الانطباعية في الفن التشكيلي والأدب :

إنَّ الانطباعية قبل أن تكون في شهرتها الفنية والأدبية، كان الانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي ، لا المفهوم الفعّال في الأمور ؛ ويرجع ذلك الى أنَّ أي عمل فني لابد أن يمر بنفس الفنان أولاً ، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان الى التعبير عنه .

فالانطباعية : مدرسة أدبية وفنية ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا ، وهي للتعبير عن الأحاسيس الفورية للعالم والأحداث ، دون الوقوف عند بعدها الطبقي أو الاجتماعي أو السياسي ولا حتى الأخلاقي . وكان لنشأة الانطباعية ظروفها الزمانية والمكانية ، وهي مواكبة عصر التطورات والاكتشافات العلمية التي اجتاحت أوربا في كافة الميادين وخاصة تطور نظريات الفيزياء والضوء ، التي أثرت كثيراً على مجموعة من الفنانين الفرنسيين الذين حاولوا تجاوز المدارس السابقة التي كانت تنحصر رسوماتهم داخل المرسم ؛ ليخرجوا بالمدرسة الانطباعية أو التأثيرية الى الطبيعة والشارع والمقهى . هذا دون أن ننسى التأثير الكبير للحربين العالميتين على الحركة الفكرية والسياسية والدينية والفنية والأدبية بشكل عام ، حيث نتج عن ذلك تغيير واضح في الطريقة التي يتم فيه بها تداول الأعمال الفنية وتغيير مفهوم الفن ذاته بين الجماهير والرسامين والنقاد فيما بعد[١] . لقد حدثت تحولات هامة في أوربا في تلك الفترة في مختلف المجالات الاجتماعية والفكرية والعلمية ، وتمثل هذا التحول على الصعيد الفني بالحركة الانطباعية التي كانت بمثابة البوابة الكبيرة التي انطلقت منها العديد من الاتجاهات والصياغات الفكرية والجمالية الجديدة على السطح التصويري الذي كان الوسيط الوحيد ، لحمل كل ذلك التجريب في (اللون والصيغة)و(الشكل والمضمون).

ويرى (هابرماس) أنَّ معظم التيارات الحديثة ومنها الانطباعية ، قد ارتكزت على مبدأ فلسفي معرفي ، مفاده أنَّ الحقيقة ، باطنية في الطبيعة ، ولم تبق تأملية ، والفضيلة أصبحت مع الحداثة وسيلة للسيطرة على الأشياء ، وحاولت الانطباعية الاستفادة من الطروحات الفلسفية والجمالية ، أهمها ما قدمه (ديكارت) و (كانت) التي أكدت على دور الخيال والانفعال بديلاً عن الحس والعقلية الموضوعية ، فساهمت الانطباعية بالعملية الإبداعية محمولة بالتجريب التقني خلال تحويل المؤثر البصري الى سطح تصويري ذو علاقات لونية غذائية ، وهذا ما أشار له (مونيه) بقوله : (نصور كما العصفور يغرد ، والرسوم الجميلة لا تصنعها الشرائع) ، في اشارة الى الحرية والانعتاق الذوقي الذاتي[٢] .

نشأة الانطباعية :

إنَّ الانطباعية ترى في الإحساس الانطباع الشخصي هو الأساس في التعبير الفني والأدبي ، لا المفهوم العقلاني للأمور؛ ويرجع ذلك الى أنَّ أي عمل فني لابد من أن يمر بنفس الفنان أولاً ، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان الى التعبير عنه ، فالانطباعية من هذه الجهة هي محاولة للتعبير عن الأحاسيس الفورية للعالم والأحداث .وكان (ادمون دوجونكور وأخوه جوليه) وهما كاتبان فرنسيان من القرن التاسع عشر أول أهم الكتّاب الانطباعيين . واستخدم الأمريكي(جون دوس باسوس) بعض رؤوس الموضوعات والأغاني والإعلانات في مقطوعات انطباعية تبرز روح القرن العشرين . وبدأت الانطباعية في البداية على مدرسة في التصوير ترى أنَّ الفنان يجب أن يعبر في تجرد وبساطة على الانطباع الذي أرتسم حسياً ، بصرف النظر عن كل المعايير العلمية ، فالمهم هو الانطباع الذي يضيفه الضوء مثلاً على الموضوع لا الموضوع نفسه[٣] .ومن أهم شخصياتها أيضاً الأديب الفرنسي (أناتول فرانس) وهو يعد رائد الانطباعية في الأدب ، بعد أن أنتقل المصطلح من الرسم الى الأدب ، ويرى أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ ، وهذا الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي . ومن أعلامها أيضاً (انطون بروست) الذي يعد من أبرع من جسد الانطباعية الأدبية ، فهو يصف مشهداً ينقل أحاسيسه إزاء ذلك المشهد بحيث يجسد أمامنا لوحة انطباعية مفعمة بالمشاعر والأحاسيس . ومن الأفكار التي آمنت بها الانطباعية وروجت لها أنَّ الفنان يحس أو يتأثر أولاً ثم ينقل هذا الانطباع والتأثير عن طريق التعبير ، ولا يهتم بالمعايير المتبعة في النقد الأدبي . وعلى الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه ؛ لأنَّ الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي . والانطباعية تقول : (أنا أحس اذاً أنا موجود) مقابل العقلانية التي تقول على لسان (ديكارت) : (أنا أفكر اذاً أنا موجود) ، ويرى الانطباعيون أنَّ كل معرفة لم يسبقها

أحساس بها فهي لا تجدي ، كما أنَّ المضمون هو المهم لا الشكل الفني عند الأديب الانطباعي في نقل انطباعه الذاتي للآخرين ، والعالم الخارجي مجرد تجربة خاصة وأحاسيس شخصية وليس واقعاً موضوعياً موجوداً بشكل مستقل عن حواس الفرد[٤] . وجاءت الانطباعية لتعبر عن الاحساس بسيادة اللحظة على الدوام والاتصال ، فجاء تعبيرهم عن الشعور بأنَّ كل ظاهرة هي حادث عابر لن يتكرر أبداً ، وموجة يجرفها تيار الزمن ، ولتؤكد أنَّ الحقيقة ليست وجوداً بل صيرورة ، وليست حالة ثابتة بل عملية مسار بالإضافة الى أولوية اللحظة ، والتغير ، والمصادفة ، من وجهة نظر علم الجمال ، هو سيطرة الحالة العابرة على السمات الدائمة للحياة سواءً في النفس أو الأدب . ونستنتج من ذلك أنَّ الانطباعية من الفنون الأدبية التي تكتفي باتخاذ وجهة النظر الجمالية الخالصة للأشياء وحدها وتجسيد ذلك فنياً وأدبياً[٥] .

الأسلوب الفني التي امتازت بها المدرسة الانطباعية :

إنَّ تأثير الانطباعيون بالحياة الجديدة في مظهرها وفي اكتشافاتها العلمية في سائر المجالات ، ولعل أهم ما تأثروا به من أشياء هو نظرية (الضوء والألوان) ، فقد أدت دراستهم الى رؤية أثر الألوان المتجاورة مع بعضها بطريقة لم يلاحظها الفنانون السابقون من الانطباعيين .

ولعل من أهم مظاهر التجديد الإسلامي عند الانطباعيين أثناء الرسم ، هو ترك آثار الفرشاة أو لمساتها وهذا ما حاولوا اظهاره في الأدب الانطباعي أيضاً، منطلقين من مبدأ أنَّ أي عمل فني لابد أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان الى التعبير عنه . وعليه فأنَّ الانطباعية من هذه الوجهة هي محاولة للتعبير عن الأحاسيس الفورية للعالم والأحداث وقت تسربت من الفن التشكيلي الى ميدان الأدب من مآخذ عديدة ؛ لقدرتها على التشكيل السريع مع المذاهب الأدبية المختلفة والمعارضة في بعض الأحيان ، وقد دخلت الأدب من باب الرومانسية والطبيعة الرمزية والواقعية، واستطاعت أن تشكل اتجاهاً نقدياً عُرف بالاتجاه الانطباعي ، وفي الواقع فأنَّ الانطباعية كانت امتداداً طبيعياً للرومانسية الأدبية ، التي ثارت ضد القوالب الكلاسيكية التي أحالت التقاليد الى نوع من القيود التي تحتّم على الفنان أن يصبح مغلقاً خالياً من كل مواهب التجديد والابتكار[٦] . وقد قال (وليام ورد زورث) رائد الشعر الرومانسي الإنجليزي : ((إنَّ الشعر الصادق هو النتيجة الحقيقية للانسياب التلقائي والعفوي للانفعالات التي تجتاح الشاعر))[٧]. وبعده (أناتول فرانس ١٨٤٤– ١٩٢٤م) وهو رائد المدرسة الانطباعية في الأدب الذي قال : ((إنَّ قيمة أي عمل أدبي تكون في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ ، وعلى الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه ؛ لأنَّ الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي))[٨]. وهذا ما دعا إليه الدكتور شوقي ضيف في كتابه (النقد) بقوله : ((أمّا النقاد فينبغي أن يفصلوا بين القيمة اللغوية والقيمة الفنية ، وقد جعلتم عنايتهم بالشاهد المثل في أبحاثهم يقفون أكثر مما ينبغي عند المعاني الجزئية للشعراء ، بل كانوا يفاضلون أحياناً بينهم على أساس هذه الجزيئات))[٩].

وقد أسفر الإطار النظري للنقد الانطباعي عن مؤشرات تخص الناقد كان أهمها ما يلي[١٠] :

١– أن يكون الناقد خاضعاً لتأثيرات الانفعال .

٢– لا يهتم الناقد الانطباعي بالتفسير والتحليل في اصدار الحكم .

٣– الناقد الانطباعي يتحدث .

٤– الناقد الانطباعي يخرج عن الأثر المنقود .

٥– يكشف الناقد عن شخصيته الذاتية بما آراءه وأفكاره .

٦– يكون الناقد صادقاً فيما أنساق إليه .

٧– لا يستند الناقد الى الانطباع الصرف .

٨– تتعدد صفحات الانطباع كل حسب ذائقته بين الذاتية والنرجسية ، والتحرر الكامل في تناول أعماق موضوع الأثر المنقود .

٩– يقوم الناقد الانطباعي بخلق بفكرة جديدة مستوحاة من فكرة النص .

المحور الثاني :بروز الانطباعية والنقد في العراق والوطن العربي :

بعد بروز جيل الستينيات من القرن الماضي في العراق الذي وجد تأسيسات أدبية ونقدية واضحة أسهمت الأجيال السابقة في وضعها ، حاول نقاده أن يرضوا النقد ليصبح متقارباً مع أسلوب كتابة المقالة الأدبية أو المقالات النقدية التي كان ل (حسين مروان) الفضل في اجتراح سبيلها في كتابة (مقالات في النقد الأدبي) الصادر عام ١٩٥٥م .وكان أثر مدرسة (علي جواد الطاهر) واضحاً على جيل الستينيات من القرن الماضي ونقاده الذين روضوا النقد لصالح المقالة الأدبية أو (النقدية) ، وتتصف هذه المدرسة باستلهامها المقالة الأدبية المصرية على يد (أحمد حسن الزيات ، والعقاد ، والمازني ، وزكي مبارك ، وطه حسين) الذي كان كثير التأثر بالانطباعية ، حيث أشتهر أسلوبه أنه ((يجمع بين

موضوعية العلم وذاتية الفن ، ففيه لذة العقل والشعور والذوق معاً . وهو متأثر بالجاحظ في حرصه على تلوين العبارة وتنويع الصور والأفكار بما ينفي الملل عن القارئ))[١١].وقد اختلفت المقالة الفكرية أو الأدبية في بلاد الشام متمثلة ب (يوسف نمر ذياب) والصور القلمية لدى (محمود احمد السيد ، ومير بصري) في تأثيراتها التركية والروسية واللبنانية. وقد تأثر جيل الستينيات بثقافة جيل الخمسينيات الذي سبقه في التجربة وخصوصاً بعد ثورة الشعر الحر. ثم جاء دور مجلة (الكلمة العراقية) بين عامي (١٩٦٧- ١٩٧٤م) التي مهدت الطريق أمام جيل السبعينيات ، فتمخضت مرحلة الستينيات وما تلاها عن محاولات تجريبية مهمة ابرزها ظهور قصيدة النثر، والقصص التجريبي والمقالة الأدبية الناضجة ، فكانت كتابات (عبد الرحمن الربيعي ، وفاضل العزاوي ، وفوزي كريم ، وسامي مهدي ، وحميد سعيد ، وحسب الله يحيى)، وكتابات النقاد المتميزة على الساحة العربية من أمثال (فاضل ثامر ، وياسين النصير، وطراد الكبيسي ، وعبد الجبار عباس ، ومحمد الجزائري)، وفيما بعد (عبد الستار جواد ، وحاتم الصكر)، فقد حاول (عبد الجبار عباس) أن يترسم خطة أستاذه الطاهر ، وأن يؤسس لمقالة نقدية انطباعية قادرة على ترويض النقد لصالح كتابة المقالة غير المنهجية معينة لها خصائصها ، علماً بأنَّ المقالة النقدية تدور حول الموضوعات الأدبية أو تناول بعض الكتب بالنقد والتحليل ، وكانوا يعمدون فيها الى إيراد الشواهد الكثيرة ويمنعون في الشرح والتفسير[١٢]. وهذا ما ينسجم مع رأي الدكتور (علي جواد الطاهر) ، الذي يرى أنه لا يهم أن تسرد كتابة المقالة (أي المقالة النقدية) على غير تقعر والتزام لقواعد التأليف والتبويب والرجوع الى المصادر وغير قصد الى التأثير الفني[١٣]. وأحياناً يستخدم الكاتب الأسلوب المنهجي في كتابة الدراسة أو البحث إلا أنَّ روح كتابة المقالة واضحة نقده وما يكتبه ، وهذا ما يتضح في كتاب (عبد الجبار داود البصري ، وباسم عبد الحميد حمودي ، وماجد السامرائي ، وعلي جعفر العلاق) في كتابه (مملكة الغجر) من أسلوب المقالة الأدبية ، وإن أردف لعنوان كتابه عنواناً ثانوياً هو (دراسات نقدية) ؛ لميله نحو التنظير الذي ينزلق به أحياناً نحو انطباعات تعكس تجربته الشعرية الذاتية ، كما في مقالته (ملاحظات في الشعر والثورة) و (شجرة البساطة الموحشة)[١٤].

وبين عامي (١٩٦٨- ١٩٧٢) برز اسم (عبد الجبار عباس) على الساحة الثقافية ناقداً ، فنشر كتابه (مرايا على الطريق) عام (١٩٧٠م)، ثم أردفه بكتابة الثاني (السياب) عام (١٩٧٢م)، وكانت هذه المرحلة تشكل بداية تكوينه الثقافي والفكري الأيديولوجي وهو يحاول أن يستجمع قواه من أجل أن يصبح صوتاً نقدياً متميزاً ، منطلقاً من اساسيات لها علاقة بالشعر ، فقد بدأت تجربته الأدبية شاعراً ، فأصدر مجموعته الشعرية (اليتيمة) و(أشواك الوردة الزرقاء) عام (١٩٧٠م). وفي رواية (الظامئون) يرى بأنَّ النقد مرآة للعمل الإبداعي تعكس ملامحه ، مثلما يعكس الأبداع الواقع ، ولكن (محمد الجزائري) يرفض هذا التأثير ويرى أنَّ جيله والأجيال التالية (أجيال بلا حوار ولا تواصل)[١٥].

خصائص الانطباعية الفنية والأدبية :

هنالك بعض الخصائص التي امتازت بها مدرسة الانطباعية الخاصة بالعمل الفني والأدبي يمكن تلخيصها كالآتي[١٦] :

١- الشك في جميع القواعد النقدية .

٢- رفض القواعد والنظريات التي تحكم على الفن والأدب .

٣- رفض وظائف النقد ، من تفسير للعمل الفني ، وتقويم النص و(إصدار الحكم عليه) وبأنَّ النقد الموضوعي لا وجود له ، كما أنَّ الفن الموضوعي لا وجود له ايضاً ، الى الوصف والتسجيل .

٤- وصف وتسجيل الأفكار والصور عن طريق الانفعالات التي يثيرها المبدع في العمل أو النص .

٥- النقد هو تعبير عن الأثر الذي ينطبع في النفس ، وأنَّ الروية أو المسرحية هما دائماً تعبير عن الأثر الذي ينطبع في نفس المبدع أو المؤلف من الحياة وتجاربه فيها ومن السلبيات التي أثارها البعض على هذا المنهج ، وهي[١٧].

١- الخروج عن النطاق الجمالي الحي .

٢- عدم الاهتمام بالتراكيب الداخلية للعمل الفني وقيمته .

٣- تشجيع الخروج من الموضوع في العمل المنقود .

وهناك من أعطى وضوحاً أكثر لأهم سمات وخصائص الانطباعية ، ومنها[١٨]:

١- التحرر من القواعد الطبيعية الجامدة التي أكدتها الواقعية والبحث عن الحركة ، والحركة فقط في الظاهرة المشتغل عليها .

٢- اعتبار الطبيعة هي منبع الجمال .

٣- إنَّ العلم لا ينفصل عن الفن ، وخاصة أبحاث (نيوتن) في الضوء وتحليل الطيف الشمسي . وكذلك أبحاث (هيليم هولتز) ونظريته الفسيولوجية في البصريات .

٤- إنَّ ذات الإنسان وانفعالاته ينبغي أن تسجل لحظة بلحظة بالفن .

٥- اللون في الانطباعية ، جاءت الوانهم زاهية ونقية وصافية ، عنيت بتسجيل المشهد بعين عابرة ، ولحظة احساس الفنان في مكان وزمان واحد .

عيوب الانطباعية :

إنَّ لكل فن من فنون الأدب محاسن وعيوب تكتشف من خلال الناقد والنقد الأدبي ، وكذلك من خلال التعمق في جزئيات وحدود ذلك الفن ، والانطباعية كونها فناً من تلك الفنون التي أخذت عليها بعض من العيوب والمآخذ (النقد) ، ومنها ما ذكره الدكتور نبيل راغب بقوله : ((إنَّ الإسراف بالاهتمام والانطباع على أساس أنه الأساس الوحيد الذي ينهض عليه العمل الأدبي أدى الى مزالق عديدة ؛لأنَّ الانطباع ليس ملكاً للفنانين وحدهم ، فكل إنسان يتأثر بالموجودات حوله ويستطيع أيضاً التعبير عنها ، ومعنى هذا أنَّ في مكان كل إنسان أن يصبح فناناً))[١٩] . وتعقيباً على ذلك لأنَّ الانطباعيون جروا وراء التسجيل الحرفي للانطباع ، ونسوا القيمة الجمالية والذوقية والدرامية التي تحتم وجود الشكل الفني الذي يحول هذا الانطباع المجرد الى جسم فني جميل من خلال العمل الأدبي ، وبالتالي أدت الانطباعية الى ما عُرف بأدب الاعترافات والخطابات الأدبية التي يعبر من خلالها الأدباء عن مكنونات صدورهم ، وبعيداً عن التشكيل الدرامي لهذه المكنونات ، وكانت هذه نتيجة حتمية لمدرسة التحليل النفسي التي أنشأها (سيجموند فرويد) والتي خلقت جماعة من النقاد التي كانت مهمتهم الرئيسية البحث المتأني وراء العقد النفسية التي ترسبت في نفس الأديب ، والتي حاول التفتيش عنها في كتاباته . إذن أصبح العمل الأدبي مجرد مرآة لحياة الأديب الداخلية ، وبمجرد الإحاطة بكل شيء عن شخصية الأديب فإنَّ العمل يفقد قيمته ودلالته . أي أنَّ العمل الأدبي وتاريخ حياة أي أديب من حيث الشكل الفني ، وهذا ما أدى الى فوضى وتخبط في المعايير النقدية والفنية من خلال النظرة الفوضوية بين العمل الأدبي والانفعالات الشخصية والأحاسيس الذاتية التي يثيرها العمل الأدبي في الناقد ، وهذا ما يدل على أنَّ كل إنسان يستطيع أن يكون ناقداً من خلال حبه لأي عمل أدبي يراه يحبه ؛ لأنه يثير ازعاجه واشمئزازه ، ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع أن يقول لماذا يحبه أو يكرهه[٢٠] . ويقول صاحب الكتاب في ذلك :((النقد الموضوعي ينهض على السلبية الكامنة وراء الانفعالات التي يثيرها العمل الأدبي ، وبدون تحليل هذه السلبية عن طريق الشكل الفني المميز والمتميز فإنَّ النقد لا يمكن أن يصبح علماً قائماً بذاته له معاييره ومقاييسه الجمالية))[٢١]. ويرى هاوزر:((إنَّ عصر الانطباعية أنتج نوعين متطرفين من الفنان الحديث المغترب عن المجتمع : البوهيميين الجدد ، وأولئك الذين رحلوا عن الحضارة الغربية ملتجأين الى بلاد بعيدة ساحرة . وكلا هذين النوعين نتاج الشعور نفسه ، و(الضيق بالحضارة) نفسه ، والفارق الوحيد بينهما أن النوع الأول أختار (الهجرة الداخلية)، على حين أنَّ الثاني أختار الهروب الحقيقي))[٢٢]. وهذا الكلام يدل أنَّ كلاهما يحيا الحياة التجريدية نفسها المنفصلة عن الواقع المباشر والنشاط العلمي ، وكلاهما يعبر عن نفسه بطرائق لابد أن تبدو بأنها شديدة الغرابة ، بعيدة كل البعد عن الفهم في نظر أغلبية الجمهور .

المبحث الثالث :نموذج من الشعر العراقي للشاعر (عبد الجبار عباس) :

وفق المذهب الانطباعي بعنوان : (أشواك الوردة الزرقاء)

نبذة عن حياة الشاعر (عبد الجبار عباس) :

ولد الشاعر والناقد عبد الجبار عباس في مدينة الحلة عام (١٩٤١م) وتوفي عام (١٩٩٢م) ، وعندما يتحدث الدارس عن النقد العراقي الحديث سيجد من بين الأسماء المتميزة فيه هو الناقد عبد الجبار عباس . فقد انشغل هذا الناقد في أول عهده بكتابة الشعر، فأصدر ديوانه أسماه (أشواك الوردة الزرقاء) .وفقيدنا عبد الجبار عباس ناقد معروف أكد حضوره الإبداعي المتميز والشامل في مجال النقد الأدبي ، وأختلط لنفسه نهجاً انطباعياً ، وأصدر عدة كتب نقدية توزعت بين الرواية والقصة والشعر والمقالة الأدبية اضافة الى المقالات التي توزعت في الصحف والمجلات الأدبية ، وكتبه المخطوطة التي تنتظر من يزيل عنها غبار النسيان . لقد أثر الناقد عبد الجبار عباس أن يوجد في الشعر متنفساً للتعبير عن همومه عبر ديوانه اليتيم (أشواك الوردة الزرقاء) الذي صدر عام (١٩٩٧م) . وقد نشر بعد هذا الديوان العديد من القصائد التي تناثرت في بعض المجلات والصحف اليومية[٢٣] .

قصيدة من ديوان الشاعر عبد الجبار عباس : (أشواك الوردة الزرقاء)[٢٤]:

لوردة صغيرة زرقاء

من نال منها لمحة ظل الى الأبد

اسيرها التائه في وعورة الشعاب

يخالها تلوح في ضفائر الشجر
أو رقصة الشعاع فوق صفحة النهر
حتى إذا ما مدّ للقطاف يد
عادت له بحفنة السراب
شاخت غصون غابة الحجر
وغاب جيل إثر جيل إثر جيل
ولم تزل تلوح في المنام أو في قدح
الشراب
باسمة بخصرها النحيل
صبية ناهدة كأنها القدر

تحليل القصيدة :

لقد ابتدأ الشاعر قصيدته (لوردة صغيرة زرقاء...) موحياً ومتأملاً بالهدوء والحرية والأمل في صورة وردة زرقاء ، ودليلاً على خياله الواسع ؛ كون البحر الأزرق والسماء زرقاء ، كل الصور توحي لنا أنه كان يأمل الى هاجس الحياة والاستمرار رغم الأزمات والانكسار الذي كان يعيشه والتي تمزقه كأشواك الورد ، فالشاعر يلوح في أبيات القصيدة ويوضّح أنَّ السنين بعذاباتها المثقلة بالذكريات المؤلمة تُحدِث في أعماقه شرخاً كبيراً واصفاً نفسه بقوة الحجر ، وأنه بعد هذا العمر والشيخوخة ، وإنَّ الأجيال تسلم الأخرى الحياة من جيل الى آخر رغم صعوبات الحياة ، فكانت حالة الاكتئاب والضعف والاستسلام للواقع المؤلم واضحة في أغلب أبيات قصيدة (عبد الجبار عباس).

إنَّ استخدام البناء القصصي في القصيدة يعطيها بعداً درامياً ضمن سياق تصاعد الأحداث من خلال الالتقاطات الصورية المنتقاة من أحداث مملوءة بترقب المجهول والضياع ، وإنَّ الالتجاء الى فضاءات الحلم الواسعة هو الدليل الواضح على رفضه لنمط الحياة التي كان يعيشها بأيامها المملة التي كانت تثقله بمعاناة كبيرة ، فالحلم وذكر الورود الزرقاء والتأملات كلها استرخاء للروح عبر هذه التأملات البسيطة ناهياً قصيدته بصبية ناهدة ، وهذا وصفه للقدر الجميل الذي ينتظره ، وهذه انطباعية في القصيدة تهدف الى الاستمرار والتوجه الى (الله تعالى) والتمسك والأمل بالتغيير نحو مستقبلٍ أفضل بمشيئته تعالى يعطي الإيجابية في الحياة .

نموذج من الأدب العربي للأديب (أحمد حسن الزيات) :

وفق المذهب الانطباعي بعنوان : (الله في السماء .... والأمل في الأرض)

نبذة عن حياة الأديب (أحمد حسن الزيات) :

ولد الأديب أحمد حسن الزيات باشا عام (١٨٨٥م) وتوفي عام (١٩٦٨م)، في قرية كفر دميرة القديم التابعة لمركز طلخا في محافظة الدقهلية بمصر ، ونشأ في أسرة متوسطة الحال تعمل بالزراعة ، وتلقّى تعليمه في كتّاب القرية ، فتعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، التحق بجامعة الأزهر وهو في الثالثة عشر من عمره ، وتلقّى في اثنائها علوم الدين واللغة العربية ، وكان يفضِّل الأدب ، فتعلّق بدروس الشيخ (سيد علي المرصفي) الذي كان يدّرس الأدب في الأزهر ، اتصل بالشاعر (طه حسين) و(محمود حسن الزناتي)، وكانوا يقضون أوقاتاً طويلة في دار الكتب المصرية ؛ لمطالعة عيوب الأدب العربي ، ودواوين فحول الشعراء ، وبعدها التحق بالجامعة الأهلية ، ومن ثم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة كرئيس قسم اللغة العربية عام (١٩٢٢م)، ومن ثم التحاقه بكلية الحقوق الفرنسية التي امضى منها سنتين في مصر ، وقضى الثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس عام (١٩٢٥م)، أُختير الزيات أستاذاً في دار المعلمين في بغداد ، ولم ينتمي الى أي حزب يذكر حتى وفاته من عمر ناهز (٨٣عاماً)، وقد دفن جثمانه في قرية كفر دميرة رحمة الله عليه[٢٥] .

مقتطف من قصيدة (أحمد حسن الزيات) النثرية بعنوان (الله في السماء .... والأملُ في ! الأرض)[٢٦]:

وبين روح الله المُؤاسي ، ومدَدِ
الرجاءِ الآسي تندملُ الجفونُ
القريحة ، وتلتئمُ القلوبُ الجريحة ،
. وتنتعشُ الجدودُ العاثرة

الكروانُ يموتُ فرخهُ في المساءِ ،
! وفي الصباحِ يرقصُ ويصدَحُ
والشاة يُذبحُ حَملها في الحظيرة ،
! وفي المروجِ تثغو وتمرح
والقلب يُقطع من القلبِ والرُّوحُ تُنزعُ
من الروح ، ثم يعيش المُحبِبُّ بعد
حبيبه ، والوالدُ بعدَ ولده ، كما يعيشُ
النهرُ الناضبُ في ارتقابِ الفيضان ،
. والروضُ الذابلُ في انتظارِ الربيع
لله على الناسِ نعمتانِ لا يطيبُ
بدونهما العيش ، ولا يعرفهما إلاّ
.العمر : النسيانُ والأمل

تحليل القصيدة :

تحدَّث الناقد والكاتب (أحمد حسن الزيات) في هذه القصيدة النثرية من خلال عنوانه الذي يعد أولى عتبات القصيدة ، موضحاً جزءاً كبيراً من مضمون كلامه اللاحق قال :(إنَّ الله سبحانه وتعالى في السماء) ، وهذا هو موقعه المكاني الطبيعي سبحانه ، ورغم هذا الارتفاع المكاني إلا أنَّ رحمته واسعة في الأرض ويده فوق أيدي المؤمنين ، وإنَّ أمله ورحمته في الأرض لا تعد ولا تحصى .

ويذكر الزيات في مفردات القصيدة موضحاً حرارة الحزن وحرقة الجفون التي ترافق مفارقة الأحبة ، موضحاً درجات القرابة بين الإنسان وولده ، وبين الكروان (نوع من الطيور) وفرخه ، وبين الشاة وحملها ، وبين النهر الناضب (الجاف أو القليل الماء) والفيضان ، وكل هذا الفقد من هؤلاء ودرجات المقاربة فيما بينهم ، يؤدي بالتالي الى النسيان والانتظار ما هو أجمل ما في الحياة ، كل هذا يوضحه الزيات في كلماته ذاكراً نعمة الله سبحانه وتعالى على كل الكائنات في الأرض بامتلاكهم فطرياً نعمة النسيان الذي بدونه لا تستمر الحياة . بل تتوقف بفقد المحبين والأقربين ، وهذه الانطباعية تعطي للكائنات كافة الاقتباس والتمسك في ضوء الأمل والمستقبل نحو الأفضل ؛ لأن الحياة لا تتوقف عند أحد ، ولابد للاستمرار ، وهذا نهج خصه الله سبحانه وتعالى للموجودات ؛ لديمومة الحياة واستمراره .

الخاتمة :

اعتماداً على ما تقدم عرضه ، وفضلاً على ما جاء به الإطار النظري توصلت الى جملة من النتائج على الوجه الآتي :

١- الانطباعية مذهب أدبي ظهر في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهو يعد الإحساس والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي .

٢- إنَّ مبدأ الانطباعية هو أن يمر بنفس الفنان وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع والتأثير الذي يدفع الفنان الى التعبير عنه .

٣- انتقلت الانطباعية من الفن التشكيلي الى النقد الأدبي على أنها منهج ذاتي حر ، يسعى الناقد خلاله الى أن ينقل للقارئ ما يشعر به تجاه النص الأدبي ، تبعاً الى تأثيره الآني والمباشر .

٤- أصحاب الانطباعية أتخذوا من النص الأدبي مناسبة للحديث عن ذاته وأفكاره الخاصة ، وما يتداعى في ذهنه من مشاعر وذكريات محتكماً في نقد الانطباعية حول النص على الذوق .

٥- يقوم النقد الانطباعي على أسس واضحة ، هي الذوق وتغليب العاطفة والإحساس على العقل طالما أنَّ قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ ، فعلى الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه ؛ لأنَّ الانطباع هو الدليل الوحيد على وجود الحي للعمل الأدبي .

الهوامش والمصادر :

١- ينظر: المدرسة الانطباعية في الفن التشكيلي (الرسم) : د. عدنان عويد ، صحيفة المثقف ، (مقال منشور) ، العدد٤٤٧٩ ، ٢٠١٨ الموقع الالكتروني : (www.tellskuf.com)

٢- ينظر: الذاتية في التجريب التقني وأثرها في التحولات الجمالية على السطح التصويري (من تيرنر الى بيكاسو) : د. ياسر محمد عبده العنسي ، جامعة إب ، كلية التربية ، اليمن ، (بحث منشور) ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد ٨٧ ، العدد ١، ٢٠١٨ : ٩

٣- ينظر: موقع ويكيبيديا : (wiki https://ar.wikipedia.org)

٤- ينظر: المصدر نفسه

٥- ينظر: المذاهب الأدبية : د. جميل نصيف التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ : ٢٩٤

٦- ينظر: المدرسة الانطباعية في الفن التشكيلي (الرسم) : د. عدنان عويد ، العدد ٤٤٧٩ ، ٢٠١٨

٧- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية الى العبثية : د. نبيل راغب ، المكتبة الثقافية ، مصر ، ١٩٧٧ : ١٤٢

٨- المصدر نفسه : ١٤٣

٩- النقد : فنون الأدب العربي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط٥ ، ١٩٨٤ : ٤٥

١٠- ينظر : الانطباعية وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر في العراق (كتاب مقدمة في النقد الأدبي) للناقد علي جواد الطاهر انموذجاً : د. عبد الأمير محسن آل كزار ، (بحث منشور) ، ٢٠١٠ : ٧

الموقع الالكتروني : (https://www.jasj.net)

١١- فن المقالة : د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٦٦: ٨٠

١٢- ينظر: قراءة في تجربة عبد الجبار عباس : د. قيس كاظم الجنابي ، ملاحق جريدة المدى اليومية ، (مقال منشور) ، العدد ١٣٩٦ ، الموقع الالكتروني : (www.almadasupplements.com)

١٣- ينظر: مقدمة في النقد الأدبي : د. علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٧٩ : ٢٦٤

١٤- ينظر: قراءة في تجربة عبد الجبار عباس : د. قيس كاظم الجنابي ، العدد ١٣٩٦ ، ٢٠١٧

١٥- ينظر: المصدر نفسه

١٦- ينظر: الموقع الالكتروني : (https://cohe.uokerbala.edu.iq)

١٧- ينظر: المصدر نفسه

١٨- ينظر: الموقع الالكتروني : (https://www.arabjo.net)

١٩- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية الى العبثية : ١٤٤

٢٠- ينظر: المصدر نفسه : ١٤٤

٢١- المصدر نفسه : ١٤٥

٢٢- المذاهب الأدبية : د. جميل نصيف التكريتي : ٣٠٣

٢٣- ينظر: أدباء عراقيون (الناقد عبد الجبار عباس (١٩٤١- ١٩٩٢) : مؤسسة أبجد الثقافية للنشر والتوزيع ، الشنفري ، (مقال منشور) ، الموقع الالكتروني : ( ) https://ebjed.com

٢٤- قراءة في ديوان (أشواك الوردة الزرقاء) للناقد الراحل عبد الجبار عباس(٢) : محمد كاظم جواد ، (قصيدة منشورة) ، ٢٠١٠ الموقع الالكتروني : ( ) www.almothaqaf.com

٢٥- ينظر: اقتباسات من كتب أحمد حسن الزيات : مكتبة نور ، (مقال منشور) الموقع الالكتروني : (https://www.noor-book.com)

٢٦- قصيدة أحمد حسن الزيات (تاريخ الأدب العربي) : (قصيدة منشورة) ، ٢٠٠٠ الموقع الالكتروني : (https://www.goodreads.com)

Footnotes and sources:

-١See: The Impressionist School in Fine Arts (Drawing): Dr. Adnan Awad, Al-Muthaqaf Newspaper, (published article), Issue 4479, 2018
Website: (www.teIIskuf.com)

-٢See: Subjectivity in Technical Experimentation and Its Impact on Aesthetic Transformations on the Pictorial Surface (From Turner to Picasso): Dr. Yasser Mohammed Abdo Al-Ansi, Ibb University, Faculty of Education, Yemen, (published research), Journal of Arts and Humanities, Volume 87, Issue 1, 2018: 9
-٣See: Wikipedia website: ((wiki https://ar.wikipedia.org
-٤See: The same source
-٥See: Literary Schools: Dr. Jamil Nassif Al-Tikriti, General Cultural Affairs House, Baghdad, 1st ed., 1990:
-٦See: Impressionist School in Fine Arts (Drawing): Dr. Adnan Awad, Issue 4479, 2018
-٧Literary Schools from Classicism to Absurdism: Dr. Nabil Ragheb, Cultural Library, Egypt, 1977: 142
-٨The same source: 143
-٩Criticism: Arts of Arabic Literature: Dr. Shawqi Dayf, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 5th ed., 1984: 45
-١٠See: Impressionism and its Applications in Contemporary Arab Criticism in Iraq (Introduction to Literary Criticism) by the critic Ali Jawad al-Tahir as a model: Dr. Abdul Amir Mohsen Al-Kazar, (published research), Website: (https://www.jasj.net)
-١١The Art of the Article: Dr. Muhammad Yusuf Najm, Dar Al-Thaqafa, Beirut, Lebanon, 4th ed., 1966: 80
-١٢See: Reading in the Experience of Abdul Jabbar Abbas: Dr. Qais Kazim al-Janabi, Al-Mada Daily Newspaper Supplements, (published article), Issue 1396, 2017
Website: (www.almadasupplements.com)
-١٣See: Introduction to Literary Criticism: Dr. Ali Jawad al-Tahir, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1979: 264
-١٤See: Reading in the Experience of Abdul Jabbar Abbas: Dr. Qais Kazim Al-Janabi, Issue 1396, 2017
-١٥See: The same source
-١٦See: The website: (https://cohe.uokerbala.edu.iq)
-١٧See: The same source
-١٨See: The website: (https://www.arabjo.net)
-١٩Literary schools from classicism to absurdism: 144
-٢٠See: The same source: 144
-٢١The same source: 145
-٢٢Literary schools: Dr. Jamil Nassif Al-Tikriti: 303
-٢٣See: Iraqi Writers (Critic Abdul Jabbar Abbas (1941-1992): Abjad Cultural Foundation for Publishing and Distribution, Al-Shanfari, (published article), 2018
Website: (https://ebjed.com)
-٢٤Reading in the collection (Blue Rose Thorns) by the late critic Abdul Jabbar Abbas (2): Muhammad Kazim Jawad, (published poem), 2010
Website: (www.almothaqaf.com)
-٢٥See: Quotes from the books of Ahmed Hassan Al-Zayat: Noor Library, (published article)
Website: (https://www.noor-book.com)
-٢٦Poem by Ahmed Hassan Al-Zayat (History of Arabic Literature): (published poem), 2000
Website: (https://www.goodreads.com)